الديستوبيا: المستقبل المخيف في الأدب العالمي

كتبه معتز حسانين | 13 أبريل ,2016

يعتبر أدب الديستوبيا Dystopia أو كما يمكن ترجمته بأدب المدينة الفاسدة، أحد الفروع المندرجة تحت مظلة كبيرة وهو أدب الخيال العلمي، ولأدب الديستوبيا عدة تعريفات ومنها: هو مجتمع خيالي يكون الناس به غير سعداء ومرعوبين ولا يتم معاملتهم بطريقة عادلة أو إنسانية.

ويعتبر لمصطلح المدينة الفاضلة Utopia الذي صاغه توماس مور في عمله الأشهر الذي يحمل نفس العنوان "المدينة الفاضلة" – وهو مجتمع مثالي تعم به مبادئ المساواة والعدالة – الفضل في اشتقاق وظهور مصطلح أدب المدينة الفاسدة Dystopia، فإذا كانت اليوتوبيا هي المجتمع المثالي، فالديستوبيا هي عالم كابوسي وغير مرغوب به، وتسعى فيه الحكومات للسيطرة على مواطنيها، وأحداثها غالبًا تقع في المستقبل.

إن القرن العشرين يمثل العصر الذهبي لأدب الخيال العلمي وفروع الأدب الملحقة به مثل أدب الديستوبيا ونشرت الكثير من الأعمال التي خلدت وصنعت شهرة هذا النوع من الأدب مثل البرتقالة الألية A Clockwork Orange لأنتوني بيرجس وهي الرواية التي حولها ستانلي كوبريك إلى فيلم يحمل ذات العنوان، ورواية نحن ليفغيني زامياتين، ورواية العقب الحديدية The Iron Heel لجاك لندن صاحب الرواية ذائعة الصيت "نداء البراري".

وتعتبر رواية 1984 لجورج أورويل هي درة أدب الديستوبيا، إذ إن أنتوني بيرجس يقول إنه كان ليكون من الأفضل استخدام مصطلح Cacotopia (كان هذا المصطلح يتم استخدامه قبل ظهور مصطلح الديستوبيا وهي كلمة يونانية يمكن ترجمتها إلى سيء أو شرير، واقترح جيرمي بينتهام استخدامه كمقابل لليوتوبيا) لتوصيف رواية 1984، فعلى حد قوله إنها تعتبر أسوأ بكثير مما تكون عليه المدينة الفاسدة.

ويمكن تتبع أدب الديستوبيا إلى الماضي أكثر وأكثر قبل ظهور المصطلح نفسه، فبالرغم من أن البعض يعتبر رواية رحلات جيلفر لجوناثان سويفت 1726م أحد أوائل أعمال أدب الفانتازيا إلا أن إنه يمكنه ربطها بأدب اليوتوبيا والديستوبيا معًا ففي المجتمعات التي زارها الرحالة جيلفر تنطبق عليها ذات الخصائص العامة التي تحدد المدن الفاضلة وكذلك المدن الفاسدة، ورواية إيرهون لصمويل بوتلر 1872، ورواية آلة الزمن لهربرت جورج ويلز 1895.

وبالرغم من أن أدب الديستوبيا والخيال العلمي يعتبر قديم وتجاوز أكثر من مئة عام، فإن الأدب العربي لم يعرفه إلا حديثًا بصدور رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق عام 2008م وعلى الرغم من أن عنوانها يوحي بأن محتواها سيكون عن مدينة فاضلة إلا أن ما أن تقرأها فستجد أنها النقيض تمامًا، فأحداثها تدور في المستقبل عام 2023م حيث يعزل الأغنياء أنفسهم في مدينة "مجتمع اليوتوبيا" في الساحل الشمالي، حيث تحرسهم الأسوار وجيش من المارينز عما يوجد خارج الأسوار، وحينما يشعر أحد هؤلاء الأغنياء بالملل، يقرر الذهاب خارج أسوار المدينة لصيد الآخرين، البشر كما لو كانوا حيوانات، والرواية الثانية هي رواية "عطارد" للكاتب محمد ربيع والتي رشحت للقائمة القصيرة لجائزة البوكر لعام 2016م.

وتعاني المكتبة العربية من ندرة توافر المحتوى المترجم من أدب الديستوبيا، إلا أن هناك بعض الأعمال الشهيرة التي تم ترجمتها إلى العربية، وفيما يلي قائمة بأهم تلك الأعمال.

1984.. لجورج أورويل

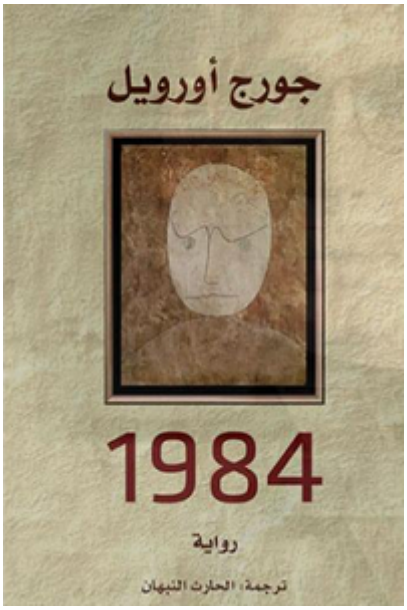

"أحذر، فالأخ الأكبر يراقبك"
"الحرب هي السلام

الحرية هي العبودية

الجهل هو القوة"

أبدع جورج أورويل تلك الرواية العبقرية في نهاية أربعينات القرن الماضي، تدور أحداث الرواية في عالم حيث يسيطر فيه الحزب الحاكم، الأخ الأكبر على البلاد، حيث تدار كل وسائل الإعلام بواسطة الحكومة والحزب، وتنشر الأكاذيب على أساس أنها حقائق، وتبدأ في تزييف الحقائق وغسل عقول المواطنين بما يتناسب مع رؤي الأخ الأكبر.

هذه الرواية تثير الرعب في النفوس لما ما تصبح عليه الأنظمة الشمولية والديكاتورية، هذه رواية يجب أن تقرأ وتقرأ أكثر من مرة.

فهرنهايت 451 لـ راي برادبري

"ليس عليك أن تحرق الكتب لتدمر حضارة، فقط كل ما عليك فعله هو أن تجعل الناس يتوقفون عن قراءتها"

هذا هو عالم راي برادبري حيث تتطاير أوراق الكتب المحترقة وتصبح حيازتها جريمة يعاقب عليها القانون، مرحبًا بك في عالم حيث إن مهمة "رجال الإطفاء" Fireman لا علاقة لهم بإطفاء البيوت المحترقة أوالإنقاذ على الإطلاق بل إضرام النار في الكتب وتحويلها إلى رماد، تدور الرواية حول جاي مونتاج أحد رجال الحريق حيث يقابل الفتاة ذات السبعة عشر عام كلاريس التي تسأله سؤالًا غير متوقع على الإطلاق "هل أنت سعيد!"

لم يكن مونتاج معتادًا على هذا النوع من الأسئلة، ولم يكن يعرف أن هذه الفتاة سوف تقلب حياته رأسًا على عقب، حيث يجد نفسه بدلًا من أن يحرق الكتب عند درجة الحرارة 451 فهرنهايت، يحاول إنقاذ بعضها وقراءتها سرًا.

أستلهم المخرج الفرنسي فرانسو تروفو عالم راي برادبري وقام بتحويل هذه الرواية إلي فيلم يحمل ذات العنوان في عام 1966.

عالم جديد رائع Brave New World لـ ألدس هكسلي

كما كانت عالم جديد رائع تمثل وحي لأورويل أثناء كتابته لـ 1984، فهنا نجد ألدس هكسلي يستوحى من كتابات هربرت جورج ويلز اليوتوبية، ولكن هكسلي يأخذنا إلى النقيض تمامًا حيث يرسم عالم بارد جاف، حيث تختفي الكثير من مفاهيم الإنسانية، فلم يعد هناك ما تدعى (الأسرة)، بل هناك فقط "مركز التفريخ والتكييف" حيث يتم إنتاج الأجنة البشرية في المصانع، وتربيتها وتهيئتها بما يتناسب مع دورها في المجتمع حيث يتم تصنيفها إلى خمس طبقات حسب احتياجات المجتمع، حيث تتلاشي المشاعر والإرادات، ويستبدل كل ذلك بالعقاقير والإعلام.

هنا العالم الجديد الرائع لا يعتمد على جو الترهيب والتخويف، بل لتحقيق السعادة والاستقرار

آلة الزمن The time Machine لـ هربرت جورج ويلز

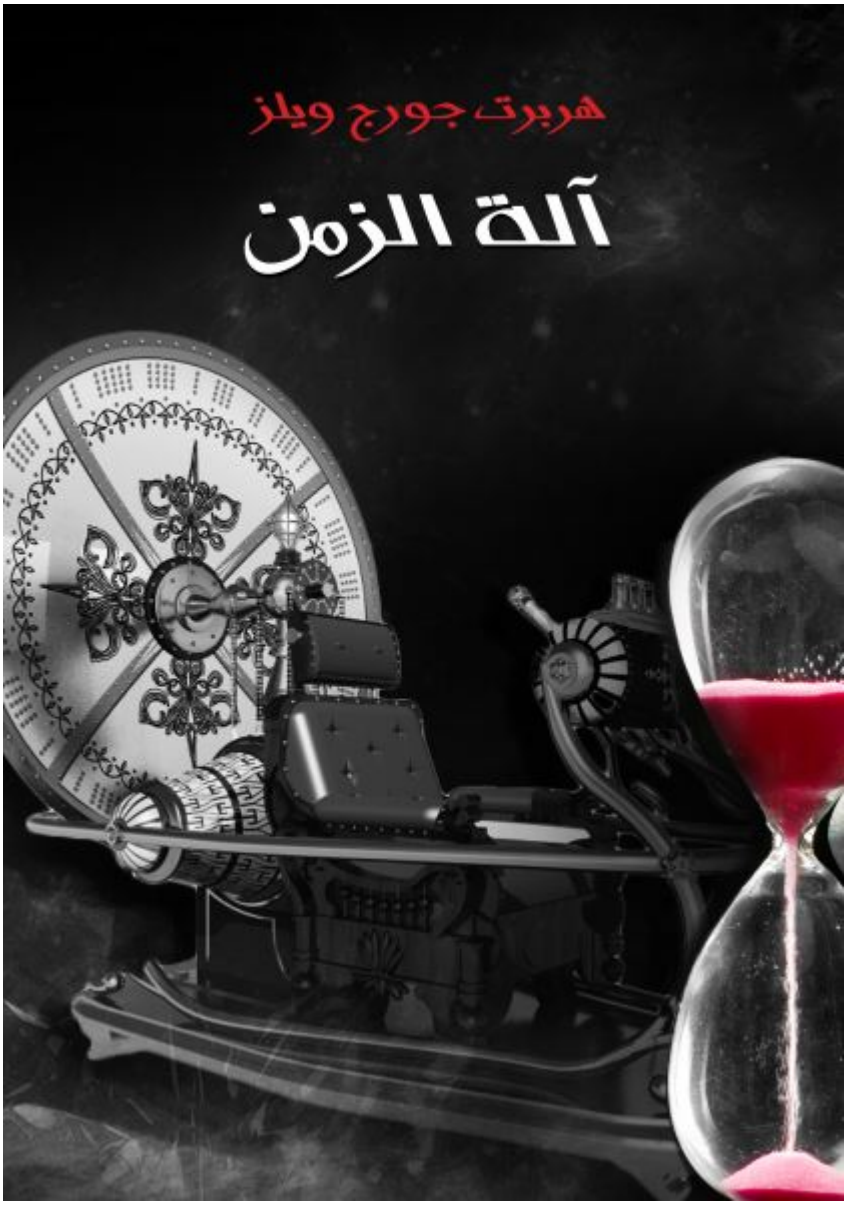

يعتبر هربرت جورج ويلز هو أحد مؤسسي أدب الخيال العلمي وأحد آبائه الروحيين، وكان قد كتب هذه الرواية عام 1895، وبالرغم من أن للوهلة الأولى تبدو "كأحد رحلات عبر الزمن" إلا أنها تعد أول رواية من نوعها والتي مهدت لتلك التيمة "الانتقال عبر الزمن"، إلا أن بطل ويلز "مسافر الزمن" لم ينتقل إلى عالم سهل وسعيد، بل تذهب به رحلته ونذهب معه إلى مستقبل قاتم حيث ينقسم البشر إلى جنسين الأول هم إيلوي والثاني هم المورولوك، حيث يعيش الجنس الأول فوق الأرض، والأخير تحت الأرض لأنهم يخافون النور.

يشهد العالم الذي انتقل عبر الزمن الصراع الأخير على سطح الأرض.

الرجل الراكض أو الهارب The Running Man لـ ستيفن كينج

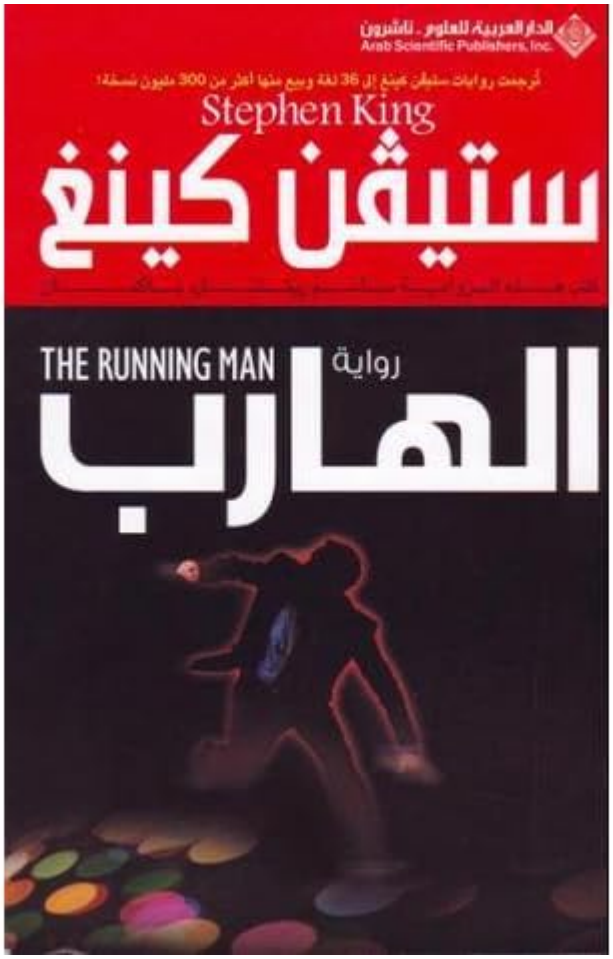

كتب ستيفن كينج هذه الرواية في عام 1985 تحت اسم مستعار وهو (ريتشارد باكمان) حيث نسج أحداث هذه الرواية في عام 2025 في الولايات المتحدة الأمريكية حيث لم تعد كما كانت بل أصبغها بطابع ديستوبياوي تمامًا، فالاقتصاد منهار، ومعدلات الجرائم والعنف منتشرة بكثرة، والجو فاسد وملوث.

يقرر ريتشارد بن المفلس والعاطل بطل هذه الرواية أن يشارك في أحد العروض التلفازية للحصول على بعض المال لأجل أسرته، ويذهب إلى الشبكة ليقف في طابور طويل من المعدمين مثله، وتصل به نتائج الاختبارات لأن يكون مشاركًا في أكثر العروض شعبية "الهارب"، ومن أجل جائزة مقدارها 100 مليون دولار عليه أن ينجو طيلة 30 يومًا بعيدًا عن المطاردين والصيادين.

رابط المقال : https://www.noonpost.com/11238/